الشأن الفني والموسيقي مكون أساسي لبلورة نموذج تنموي نوعي شمولي ومندمج

الورقة التأطيرية للندوة

1) الإطار العام للندوة :

بعد دعوة جلالة الملك في خطاب العرش بتاريخ 30 يوليوز 2019 إلى بلورة نموذج تنموي جديد بادرت مجموعة من المؤسسات الرسمية والقطاع الخاص وفعاليات المجتمع المدني والهيئات المهنية إلى تنظيم مجموعة من اللقاءات والندوات للتفكير الجدي والعميق في الموضوع، وهي خطوة صحية من شأنها أن تساهم، ليس فقط، في إثراء النقاش وإغناءه بل أيضا في تقديم مقترحات وتوصيات وإ جراءات عملية في هذا الباب. كما أنها خطوة حكيمة من شأنها استباق بلورة هذا النموذج وإثارة انتباه القائمين عليه إلى مجموعة من القضايا التخصصية التي تحتاج إلى الانفتاح على كفاءات وخبرات في جميع التخصصات بما فيها العلمية والتربوية والفنية لبلورة نموذج تنموي حقيقي.

من المعلوم أن كل التقارير سواء منها الدولية (تقارير التنمية البشرية السنوية الصادرة عن منظمة اليونيسكو، أجندة 2030 للتنمية المستدامة الصادرة عن منظمة الأمم المتحدة) أو تلك التي صدرت بالمغرب عن مؤسسات دستورية (المندوبية السامية للتخطيط، المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي) أجمعت على أنه من نقط الضعف التي تعاني منها مخططات وبرامج التنمية وتلك التي سجلها النموذج التنموي الحالي، رغم ما حققه من نتائج ومكاسب مكنت من مضاعفة حجم الاقتصاد الوطني، فشله في إرساء منظومة تربوية فعالة وجذابة تعمل على تطوير الكفايات اللغوية والعلمية والحياتية للمتمدرسين إضافة إلى عدم قدرته على النهوض بالشأن الثقافي والفني وتطوير الممارسات الثقافية والفنية للمغاربة.

لكن المتتبع للنقاش الدائر حول النموذج التنموي الجديد سيلاحظ غيابا شبه تام للشأن الثقافي والفني عن طاولة النقاش، كما أن المقترحات التي تقدمت بها الهيئات السياسية تطرقت للفن والثقافة بشكل محتشم وهو ما يدفعنا إلى التوجس من عدم استحضار البعد الفني والثقافي، باعتبارهما مدخلين أساسيين للارتقاء بالفرد والمجتمع، في بلورة النموذج التنموي الجديد. وفي هذا السياق لا بد من التذكير بأن النموذج التنموي الحقيقي المنشود هو النموذج التنموي الشمولي والنوعي والمندمج الذي يهتم بالإنسان بأبعاده المختلفة باعتباره الوسيلة والغاية، لا النموذج التنموي الكمي والمجزئ والمبتور من سياقه ومحيطه الذي يخلق الثروة ويحقق النمو الاقتصادي والمالي لكن يعجز عن الرقي بمستوى ونوعية عيش الأفراد والمجتمع. ومن هنا يبرز سؤال كبير وعريض مفاده :

كيف يمكن بلورة نموذج تنموي ذو جدوى يحقق الغايات المنشودة ويبني الإنسان ويرتقي بالمجتمع ؟

وبمعنى أدق:

كيف يمكن بلورة نموذج تنموي شمولي ونوعي ومندمج يستحضر الأبعاد الحضارية والثقافية والفنية للمجتمع المغربي ؟

2) موضوع الندوة :

الفنون عموما والموسيقى على وجه الخصوص هي عنوان الرقي الحضاري والوجه الجمالي للفكر الإنساني ، فقد أشار أفلاطون إلى هذا المعنى منذ ألاف السنين في مقولته الشهيرة "إذا أردت أن تتعرف على شعب فعليك بالاستماع إلى موسيقاه"، فلا غرابة إذن أن تستأثر الموسيقى، ومنذ زمن بعيد، باهتمام العديد من الباحثين في حقل السوسيولوجيا وباقي العلوم الاجتماعية والإنسانية، وأن يتم التعامل معها ك "واقعة اجتماعية وجمالية". فالأغنية بالنسبة للمفكر الفرنسي رونو ديمون (2008) Renaud Dumont هي "منتوج ثقافي متغير وتعبير عن مجتمع يتطور"، أما مارسيل موس Marcel Mauss فيذهب إلى أبعد من ذلك ويعتبرها "واقعة اجتماعية شاملة"، بحكم امتداداتها في مختلف بنيات وهياكل المجتمع المادية (الاقتصاد، الصناعات، الخ.) منها واللامادية (الذوق، الشعور بالانتماء، الجاذبية الثقافية، الوعي، الخ). ولذلك، فإن الاهتمام بالشأن الموسيقي ليس ترفا زائدا أو بذخا فكريا كما قد يعتقد البعض، ولكنه يستمد أسباب وجوده من كون الموسيقى كممارسة وكمعرفة هو نشاط اجتماعي كباقي الأنشطة الأخرى تشغل اهتمام الأشخاص وتكتسح حياتهم اليومية . إلا أن هذا الاهتمام يجب أن يعتمد مقاربة شمولية كما يرى جورج غورفتش Georges Gurvitch تسمح بدراسة جوانبها الاقتصادية والسياسية والمادية والتقنية والرمزية وغيرها، لفهم أبعادها الاجتماعية والسيكولوجية والأنتربولوجية في مختلف تجلياتها وتوظيفاتها وعلى مختلف أشكالها وأنماطها. في السنوات الأخيرة، وبفضل تقدم علم الأعصاب المعرفي neuroscience cognitives أظهرت مجموعة من البحوث والدراسات العلمية أن للموسيقى قوة تحويلية على الدماغ وعلى كيفية اشتغال الفكر، وبالتالي فهي تشكل مع العقل مصادر أساسية لبناء المعرفة ولتطوير مجموعة من الكفايات الحس الإبداعي والابتكاري، والتفكير النقدي، والقدرة على التعاون، والقدرة على التواصل وهي من أهم "كفايات القرن الحادي والعشرين" ، الضرورية لرفع مختلف التحديات الحالية التي تواجه الشعوب والمجتمعات ول كسب رهان التنمية مستقبلا في ضل التنافسية الشرسة بين الدول . ومن هذا المنظور فإننا مدعوون جميعا للتفكير في سبل إدماج التربية الموسيقية في مختلف مراحل التنشئة الاجتماعية، عبر مناهج متطورة ووفق مقاربات بيداغوجية نشيطة وفعالة تساهم في بناء العنصر البشري وتمكنه من كفايات القرن الحادي والعشرين

من جهة أخرى وبالنظر لطبيعة العمل الموسيقي وخصوصياته، واعتبارا من كون الإنتاج الموسيقي إنتاجا ثقافيا وفنيا قائما على الإبداع والفَرادَة والأصالة، فقد بادرت منظمة التجارة العالمية إلى الدعوة بالاستثناء الثقافي حماية للتعدد الثقافي وبتمييز الإنتاج الموسيقي والصناعات الثقافية من (نشر، وفنون تشكيلية، وسينما، وإنتاجات موسيقية وغنائية، وفنون الفرجة، الخ.) عن باقي المنتوجات الصناعية الأخرى، مع الحرص على عدم إخضاعه لشروط الأنشطة السوسيو اقتصادية الأخرى أو التعامل معه وفق قانون السِّلَع مثل باقي البضائع. ومن هذا المنطلق، فإننا مدعوون أيضا للتفكير في القضايا والإشكالات المرتبطة بسلسلة قيم الإبداع الموسيقي la chaine de valeur de la créativité musicale بدءا من التكوين الموسيقي ومرورا بالإنتاج وصولا للنشر والترويج مع الحرص على تفادي السقوط فيما أسماه عالم الاجتماع الفرنسي جيل ليبوفتسكي Lipovetsky Gilles ب"الرأسمالية الفنية" وهو نظام يقوم على الاستغلال التجاري للمشاعر والعواطف l'exploitation commerciale des émotions ويجعل من الفن بضاعة جمالية تخضع لمنطق التجارة بعيدا عن الضوابط الفنية والجمالية. ومع استحضار ما تطرحه الرَّقْمَنة n digitalisation/numérisatio والتمويل وتحصيل العائدات وحقوق التأليف من مشاكل ضريبية وقانونية ... وما يشكله ارتفاع وتيرة التجارة المُؤْلَمَة وظهور الشركات المتعددة الجنسيات التي بدأت تتحكم في تنظيم التداول عبر الحدود على الفور من خلال تطبيقات رقمية إلى حد يمكن معه القول ب ظهور مستعمرات أو قطاعات تتحكم فيها جهات من خلال توجيه الذوق والموضة على الصعيد الفني والموسيقي والثقافي والإبداعي عموما وفي مختلف المجالات.

وانطلاقا من هذا السياق، تطمح هذه الندوة إلى تقديم سبل للتفكير في الأسئلة التالية :

- كيف يمكن للنموذج التنموي المنشود أن يحقق هذه الرهانات التي تحفظ للمغرب تعدده في إطار وحدته السوسيو تاريخية بشكل حداثي وديموقراطي يجعله قادرا على رفع التحديات التي يعيشها إفريقيا وعربيا ودوليا ومن دون أن يفقد إشعاعه كنقطة التقاء عالمية، وكامتداد حاضن لجالياته عبر القارات ؟

- كيف يمكن استثمار التربية الموسيقية في منظومتنا التربوية وفي برامج التنشئة الاجتماعية من أجل بناء مواطن قادر على رفع تحديات القرن الحادي والعشرين وخلق جاذبية فنية وثقافية داخل المجتمع تضمن التعدد المغربي المنصوص عليه في الدستور ؟

- كيف يمكن وضع سياسة متوازنة للنهوض بسلسلة قيم الإبداع الموسيقي (التكوين الموسيقي ، الإنتاج والنشر والترويج) يراعي الخصوصيات الحضارية والثقافية والفنية لبلادنا ؟

3) محاور الندوة :

على ضوء ما سبق، تقترح الورقة التأطيرية، على سبيل الاستئناس، المحاور التالية :

- **المحورالأول: وضع الشأن الموسيقي في السياسات العمومية ومكانته في النموذج التنموي المنشود**
- **المحور الثاني: التربية الموسيقية في خدمة قضايا التربية والتكوين ورعاية التعدد الفني والثقافي.**
- **المحورالثالث: البعد المهني للنشاط الموسيقي بالمغرب والسوق الوطنية والدولية**

4) أهداف الندوة :

ومن أجل المساهمة في تعميق النقاش حول النموذج التنموي الجديد في بعده الفني عموما والموسيقي على وجه الخصوص ستحاول هذه الندوة :

- إجراء تشخيص دقيق وموضوعي للوضع الحالي المرتبط بالشأن الموسيقي من أجل رصد الاختلالات
- تقديم بدائل لتعديلها وتحديد معالم القوة واقتراح سبل تعزيزها وتقويتها، في أفق رسم معالم مشروع للنهوض بالشأن الموسيقي يتم الاستئناس به في بلورة النموذج التنموي الجديد.
- إطلاق مبادرة وطنية للنهوض بالشأن الموسيقي بالمغرب ورعاية امتداداته دوليا من أجل علامة وطنيةLabel Maroc

5) الأشغال والتنظيم

ستدور أشغال الندوة على شكل يوم دراسي وستبرمج فعالياته كالتالي :

09:00 = استقبال المدعوين والمشاركين

09:30= جلسة افتتاحية

10:00 = ثلاث ورشات عمل موضوعاتية موازية تطرح في كل منها ورقة عمل تكون موضوع النقاش (انظر المحاور)

12:00= استراحة

14:00 = جلسة عامة ختامية :

- عرض تقارير الورشات الموضوعاتية الموازية
- مناقشة عامة
- خلاصات وتوصيات

16:00 = اختتام اليوم الدراسي

6) الجهات التي ستوجه لها الدعوة :

- المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي
- وزارة الثقافة والشباب والرياضة
- وزارة الاقتصاد والمالية وإصلاح الإدارة
- وزارة الصناعة والتجارة والاقتصاد الأخضر والرقمي
- منظمة اليونيسكو
- المؤسسات والمراكز الجامعية
- المعهد العالي للفن المسرحي والتنشيط الثقافي
- المعهد العالي لهن السمعي البصري والسينما
- المعهد العالي للإعلام والاتصال
- المعاهد الموسيقية
- الجمعيات والهيئات الوازنة في المجال الموسيقي والفني والتربوي
- رجال الإعلام